

المسرح في سيرة .. أعلام و أعمال

د. محمد حسين حبيب

أن تكون مؤرخا مسرحيا ذلك يعني انك توثق التاريخ البشري .. لأن التاريخ المسرحي هو تاريخ الاوجاع والمعاناة الانسانية على مر العصور والحقب والتحويلات الزمنية بحكم ان (المسرح) - فنا ادائيا ومدونة نصية - هو الوجه الحقيقي لحياة الناس في ايما زمان او مكان .

في ضوء هذا الفهم راح عدد من الاسماء الكبيرة ممن امنوا وانتموا حقا لهذا الفهم بوصفهم المؤرخين المسرحيين اللامعيين في هذا المخاض الانساني الذي حوى العالم برمته وعكس جميع التطورات والتحويلات الحياتية بهدف صناعة الحياة الجديدة الحالية والمستقبلية ، راحوا يوثقون تاريخ البشرية بكلية ايمانهم وانتماهم وصدقهم ونبل مساعيهم ، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر عدد من هؤلاء العمالقة مع ابرز مؤلفاتهم في هذا المجال : تاريخ المسرح في ثلاثة الاف سنة لشلدون تشيني و تاريخ المسرح لفيثو باندولفي و المسرحية العالمية لألادريس نيكول و سوسولوجية المسرح لجان دوفينو والتراجيديا الشكسبيرية لبرادلي و الدراما في القرن العشرين لبامبر جاسكوين والموسوعة المسرحية لجون رسل تيلر، الى جانب اسماء عربية مهمة مثل : محمد يوسف نجم في كتابه (المسرحية في الادب العربي الحديث) و سعد اردش في (المخرج في المسرح المعاصر) و كمال الدين عيد في (اعلام ومصطلحات المسرح الاوربي) و سامي عبد الحميد في (ابتكارات المسرحيين في القرن العشرين) و ماري الياس وحنان قصاب حسن في (المعجم المسرحي) كل هذه المؤلفات باسمائها - واخرى مثلها او قريبة الصلة بها - حفظت لنا حقائق الانسانية ومنجزاتها عبر التاريخ .

وياتي اليوم ليضيف اسمه مؤرخا مسرحيا كبيرا بجانب هؤلاء وبعد ان عرفناه مخرجا مسرحيا وممثلا ومفكرا ومنظرا واستاذا جامعا ومؤسسا لفرقة مسرح الحكواتي اللبنانية .. ياتي (روجيه عساف) بجدول تاريخي كبير للمسرحيين والمسرحيات وهو كتابه الجديد الموسوم (سيرة المسرح - أعلام و أعمال) في طبعته الاولى الصادرة من دار الاداب للنشر والتوزيع بيروت ٢٠٠٩ وبمجلدين : الاول (العصور القديمة) والثاني (القرون الوسطى) فنقول حقيقة مفادها : يبدو ان التاريخ المسرحي حين يكتبه المبدع المسرحي له نكهة خاصة تميزه جماليا وفكريا عن ذلك التاريخ المسرحي الذي يكتبه المؤرخ حسب ، هذا ما خرجنا به كاستنتاج اولي لقراءتنا هذا المنجز التاريخي فعلا لتاريخ المسرح بقلم مبدع مسرحي عرفنا

وشهدنا وتابعا تاسيساته المعرفية والجمالية لمسرحنا العربي ، ذلك ان (روجيه عساف) من رجالات مسرحنا العربي التي تنطبق عليه جملة (غني عن التعريف).

اقول : لقد ادرك عساف السر في انتقاء مايجب ان يؤرخ وهذه براينا المائزة الكبرى في هذا الكتاب عما سبقه فهو يقول في توطئة كتابه : (يطمح هذا العمل الى تزويد القارئ بالمعلومات التاريخية والتقنية واطلاعه على المعطيات الفكرية والفنية الخاصة بالذين تركت ممارستهم المسرحية اثرا في ثقافتنا العصرية ومخيلتنا الحاضرة من مؤلفين وممثلين ومخرجين ومهندسين ومنظرين .. فبالتالي ووفقا لهذا المقضى تم انتقاء الاعلام والاعمال بالنسبة الى قدرة ابداعهم على احداث رد فعل في ذهننا وتحريك شعورنا) وفعلا كان (عساف) ناجحا في قياس ردة فعله الإبداعية وحده الشعوري لينتقي من تاريخ الإنسانية الكبير أعلاما وأعمالا دفعت عجلة الوعي والثقافة الى أمام بشكل واضح للعيان وفي مختلف الحقب والازمان .

المائزة الاخرى التي اعطت لهذا المنجز التاريخي متعة قرائية ساحرة هي لغة الكاتب واسلوبه المشوق في متابعة سطور الكتاب حيث الصياغات الجمالية الانشائية المعبرة عن محتوى الفكرة الاساس لهذا الاسم المسرحي ولتلك المسرحية المنتقاة والمشوقة باحداثها هي الاخرى الى جانب مشوقات الأسلوب التألفي نفسه ، وباعتقادنا ان هذه المسألة لها مسوغاتها الواضحة التي تنطلق من خبرة (عساف) الثقافية والتأليفية والأكاديمية (البحثية) بجانب الخبرة الفنية ، كل هذه الخبرات المتراكمة تفاعلت بصدق المسرحي وانتمائيه مع التاريخ لتنتج لنا سيرة مسرحية جديدة توثق للمسرح وللإنسانية وتجدرول لنا التاريخ المسرحي بقراءة جديدة فاحصة متأنية منتقاة تسدد كراتها الى الهدف مباشرة ، ومن هنا جاء هذا الكتاب لا ليكون للمتخصصين حسب بل للقراء جميعهم بمختلف اهتماماتهم الثقافية لامتلاكه عدد من عناصر الجذب فضلا على شكل طباعة حروفه وتشكيلاتها اللغوية وهذا ما اضاف جمالية شكلية أخرى تناسب تماما مع جماليات المضمون بشكل لا اختلاف عليه .

فعلى سبيل خاتمة موقته يذكر المؤلف : (النقطة الجوهرية في اعادة مفاهيم المسرح الى بساط البحث تكمن اولا في دحض عمومية المسرح الغربي والتيقن بعلاقة كل ظاهرة مسرحية مع اطارها الاجتماعي التاريخي وعدم امكانية تحليلها دون معرفة هذا الاطار المعين الذي نشأت فيه ، بمعنى اخر بعد هيمنة طالت خمسمائة سنة لاحتلال تاريخ المسرح من قبل نظام صممه واعده وعممه اساطين الثقافة الاوربية كما لو انه قياس التصريف النمطي للغة احادية المعاني لا تخضع للظروف والاطر الاجتماعية ، أن الأوان للنظر الى تاريخية الاعمال المسرحية وادراك قيمتها المميزة في اطار ظروفها السياسية والاجتماعية والثقافية وبالتالي

تقييم قدرتها المخصصة خارج حدودها المكانية والزمنية وادراك تعدد معانيها المحتملة في زمن اخر وفي ظروف متباعدة ..)

الكتاب مقسم الى سبعة عشر زمنا من زمن التراجيديا الاغريقية الى زمن الحداثة ، وما إصدار هذين المجلدين الآن الا كبداية تتبعها بقية الأجزاء ، فحوى المجلد الاول العصور القديمة ، الجزء الاول منه بعنوان (زمن التراجيديا الاغريقية) الميثولوجيا والمسرح من جلجامش الى اوديب ، وبعدها الشعراء التراجيديون : اسخيلوس وسوفوكليس ويوربيديس ، اما الجزء الثاني من المجلد الاول نفسه فحوى زمن الكوميديا في اليونان وروما ، النوع الهزلي من ارسطوفانيس الى تيرانسيوس وصولا الى المسرح بين انهيار اثينا الديمقراطية وامبراطورية روما . اما المجلد الثاني (القرون الوسطى) فحوى على : المسرح الاسيوي / الاشكال المسرحية في اسيا ، والمسرح في الهند والصين واليابان ، الجزء الرابع من هذا المجلد نفسه حوى : المسرح في العالم الاسلامي و خيال الظل من الوايانغ الاندونيسي الى الكراكوز وكذلك السيرة العربية وفن الرواة . وفي الجزء الخامس نجد هناك سياحة جديدة مع مسرح القرون الوسطى في اوربا و المسرح والدين في اوربا الغربية وقوفا عند الالعب والاسرار والمسرح الهزلي فيها ، ونحن بانتظار صدور المجلد الثالث الذي يضم عصر النهضة .

ختاما نقول : ربما نمر على بعض اسماء الاعلام او مسرحياتهم في هذا الكتاب كانت قد وردت في مؤلفات سابقة لكن اهميتها هي التي قادت المؤلف عساف الى التوقف عندها هنا لكن بعينه هو هذه المرة ونظرته التحليلية لها ، الا ان ما ينبغي الإشارة إليه حقا هو ان هذا الكتاب وقف عند عدد كبير من الأعمال والأعمال والظواهر والحقائق ممن لم يتوقف عنده الاخرون .. وهذه تعد مائزة أخرى نضيفها الى ما اشرنا من مميزات هذا الكتاب الجدير بالقراءة فعلا .